مجلة جامعة صبراتة العلمية
Sabratha University Scientific Journal

مجلة علمية نصف سنوية محكمة متخصصة في العلوم الإنسانية

تصدرها جامعة صبراتة بشكل إلكتروني

مقومات الشخصية الإسلامية ودورها في الحفاظ على الهوية الثقافية

The components of the Islamic personality and its role in preserving cultural identity

أ.عتيقة اقويدر عمار
قسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب الجميل- جامعة صبراتة
ataqe12345@gmail.com

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية:
2017-139

الترقيم الدولي:
ISSN (print) 2522 - 6460
ISSN (Online) 2707 - 6555

الموقع الإلكتروني للمجلة:
https://jhs.sabu.edu.ly

مقومات الشخصية الإسلامية ودورها في الحفاظ على الهوية الثقافية

The components of the Islamic personality and its role in preserving cultural identity

أ.عتيقة اقويدر عمار
قسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب الجميل- جامعة صبراتة
ataqe12345@gmail.com

ملخص:

لكل مجتمع هويته الثقافية التي تميزه عن غيره، ولهذه الثقافة عناصر ترسم ملامحه، وتتمثل هذه العناصر في المعتقدات واللغة والآداب والفنون والتاريخ والعادات والتقاليد. والمجتمع الذي يحافظ على ثقافته يحافظ على هويته في زمن اختلاط الثقافات.

وللشخصية الإسلامية الدور الفاعل في الحفاظ على الهوية الثقافية، يتجلى ذلك في مقوماتها التي تحصنها من الاغتراب وفقد الذات، وتتمثل هذه المقومات في: الإيمان المؤسس على صحة الاعتقاد، والانقياد والطاعة، والعلم النافع، وحسن الخلق، واللغة العربية.

الكلمات المفتاحية: الشخصية الإسلامية – الثقافة – الهوية – الإيمان.

The components of the Islamic personality and its role in preserving cultural identity

Absrtact:

Each society has its own cultural identity that distinguishes it from others, and this culture has elements that define its features, and these elements are represented in beliefs, language, literature, arts, history, customs and traditions... A society that preserves its culture preserves its identity in a time of mixing cultures. The Islamic personality has an active role in preserving cultural identity, which is evident in its components that protect it from alienation and loss of self, and these components are: faith based on the correctness of belief, submission and obedience, useful knowledge, good manners, and the Arabic language.

Keywords: Islamic personality - culture - identity - faith.

مقدمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد النبي الأمي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن قيمة الإنسان من قيمة مجتمعه، وقيمته تضيف لمجتمعه رصيداً معنوياً، حيث يدعم كل منهما الآخر.

وأن الحفاظ على أي مجتمع يستلزم الحفاظ على ثقافته من الاندثار أو التشويه؛ لأن قيمة المجتمع الذاتية تتمثل فيما يتصف به من خصوصيات، إذا اندثرت فقد هويته وصار في طابور التبعية، وقد خسر طاقاته وإمكاناته الذاتية، فيخسر حاضره، ويضيع مستقبله، ويتبرأ منه ماضيه، فيفقد بذلك أهم

مقوماته الإنسانية كونه اجتماعياً بطبعه يتأكد ذلك أولاً في حسن الانتماء إلى أصالته، وثانياً في حسن التعامل مع الآخر، وهذا هو الإنسان الواعي، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ سورة الحجرات: 13.

إن الاندثار والذوبان في الآخر هو الموت بعينه، وإن طالت أيام أنفاسه؛ لأن ذلك أشد وطأً على الأنفس الحية من حياة التنعم فيها بما لذَّ وطاب من مستساغ الأكل والشراب، وهو بمفهوم الحياة سراب، مجرد شبح إنسان فاقد كل مقومات وجوده.

وكوننا مجتمعاً مسلماً عربياً لنا مقوماتنا الخاصة نعيش زمن التحديات فإن فقد أو اختلال هذه المقومات هو فقد للهوية الثقافية، ولكي نعيش الحاضر ونبني المستقبل علينا ألا ننسى الماضي لننهل من مورده الخلاق، ونفسر ما اعترانا من إخفاق، مع التمهل أو التوقف عند المعطيات المعاصرة، ونسأل أنفسنا بحكمة وروية: كيف نتعامل معها؟ وما نأخذ منها؟ ومن الذي يحافظ على الهوية الثقافية؟

ولبيان ذلك كان اختيار هذا الموضوع للإجابة عن التساؤلات السابقة بعنوان: **(مقومات الشخصية الإسلامية ودورها في الحفاظ على الهوية الثقافية)** الذي يهدف إلى:

1- التعرف على الشخصية الإسلامية ومقوماتها.

2- التعرف على الهوية الثقافية وعناصرها.

3- التعرف على دور الشخصية الإسلامية في الحفاظ على الهوية الثقافية.

وسيتم عرض هذا الموضوع وفق الترتيب الآتي:

1- مقومات الشخصية الإسلامية.

2- الهوية الثقافية مفهومها وعناصرها.

3- دور الشخصية الإسلامية في الحفاظ على الهوية الثقافية.

أولاً: مقومات الشخصية الإسلامية:

معنى مقومات من قَوَمَ، قام قوماً وقياما فهو قائم، أي انتصب، قومت الشيء فهو قويم أي مستقيم، وقومَّه: أزال اعوجاجه[1] ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [سورة التين: 4]، إشارة إلى ما خُصَّ به الإنسان من بين الحيوان من العقل والفهم وانتصاب القامة الدال على استيلائه على كل ما في العالم.[2]

قوَّم الأخلاق: هذَّبها وأصلحها، وقوَّم الخطأ: صحَّحه والمقوِّم: اسم فاعل من قوَّم: من يعطي قيمة لعمل أو شخص أو مجموعة.

و﴿دِينًا قِيَمًا﴾[من الآية: 16]، الأنعام، أي ثابتا مقوماً لأمور معاشهم ومعادهم، والقوام: اسم لما يعمد ويسند به.[3]

والمقومات في الاصطلاح: الأمور والمواصفات المؤثرة في الشخصية المسلمة كالاعتدال والاستقامة، وانتظام الأمر وعماده دون اعوجاجه وغلوه وسقوطه واختلاله.[4]

ومما تقدم يتضح أن المقومات هي: الأسس التي تسهم في وجود الذات وقيامها وفاعليتها الصحيحة المعتدلة.

والشخصية مضاف إلى مقومات، والشخص جماعة شخص الإنسان وغيره، مذكر، والجمع: أشخاص وشخوص والشخص سواد الإنسان وغيره تراه من بعيد.[5]

(وهي نظام متكامل من سمات تتفاعل مع بعضها وتؤثر في بعض... وهي ثابتة يبدو أثرها في معظم المواقف).[6]

والإسلامية صفة من الإسلام، والسلم والسلام والسلامة: البراءة من جميع الآفات، والسلم: السلام والمسالمة، والإسلام والاستسلام: الانقياد، والإسلام من الشريعة: إظهار الخضوع وإظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي – ﷺ–[7] والشخصية الإسلامية: هي (الشخصية التي تتحدد معالمها، ومكوناتها الجسمية والوجدانية والعقلية والنفسية والروحية، بحيث تعيّن الفرد وتميزه عن غيره، وتعمل على تكامله النفسي والاجتماعي وتوافقه مع ذاته ومع غيره وفق ما جاء به القرآن الكريم).[8]

فالشخصية المعوَّل عليها في الحفاظ على الهوية الثقافية هي الشخصية المتوازنة التي اهتدت إلى المنهج القويم فرضيت بالله ربا، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولا، وبالقرآن كتاباً ومنهجا ودليلاً، وبالإسلام دينا.

إن الشخصية الإسلامية ثابتة الملامح لما تتميز به من خصوصية ترجع إلى الأسس والمقومات التي تتكون منها، فما هذه المقومات التي تفردت بها الشخصية الإسلامية. حيث تحافظ على ثباتها؟

(إن المجتمع الإنساني يخضع في كل مكان لتبدل أساسي إن هذا التبدل يختلف من بلد إلى بلد... [وأن] ثمة قوة تسوق الناس سوقاً لا تدع لهم معه مجالا للتوقف والتردد،... فإلى أين سينتهي هذا التطور، وعند أي حد سيقف، وإلى أي مدى تراه يتفق مع رسالة الإسلام).[9]

إن الشخصية الإسلامية وما يلازمها تسري على الفرد والمجتمع والأمة، والفرد لبنة في المجتمع، والمجتمع ركيزة في الأمة، والأمة كيان له وجود وامتداد تاريخي منذ فجر الإسلام إلى قيام الساعة، بل امتدادها يتعدى إلى الآخرة، حيث نالت شرف الإشهاد على الأمم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: 143]، وقد مدح الله هذه الأمة إذا ما التزمت بالمنهج قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾آل عمران: 110، هذه الشخصية امَّحت منها شوائب النفس البشرية والخطط الشيطانية.

هل لازالت هذه الأمة تنبض بالحياة، أم اعتراها ما اعتراها من الأكدار والانسلاخ والجور والضياع ما أدى بها إلى الانزلاق والتبعية حتي تكاد تذوب وتندثر كوجود معنوي، وقد حذَّر –ﷺ– من حالة الوهن الذي يطمع الأعداء قال –ﷺ–: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها" فقال قائل:

ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: "بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم".((10)) فهل من بعث من الغثاء؟

المتأمل في الوجود الإسلامي الحقيقي يدرك أن البعث الحضاري للإسلام مرهون بشخصية المسلم فرد وأمة. فمتى تكاملت ملامح الشخصية الإسلامية كان لها وجود معتبر، ولهذه الشخصية مقومات أبرزها:

1- الإيمان المؤسس على العقيدة الصحيحة بأركانها المعلومة دون شائبة شك. قال تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة: 285].وقال تعالى:﴿ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾[النور: 55].فالتوحيد وصحة الاعتقاد يجعلان المؤمن لا يعبد إلا الله ولا يرجو غيره ولا يخاف سواه.

والذي يكون من لوازمه أمور أرى أنها مقومات للشخصية الإسلامية.

2- الخضوع والانقياد لأوامر الشرع واجتناب نواهيه والتي عبر عنها القرآن بالسمع والطاعة ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: 286]. ومن تكون طاعته للخالق لا يسمع لمخلوق إلا في حدود الشرع.

3- الصبر والمصابرة، وذلك بمجاهدة النفس، بقوة العزيمة على أداء الطاعات وترك المنهيات، والصبر على الابتلاءات، والثبات في الملمات على المنهج الرباني قال تعالى: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200].

4- التقوى وهي من لوازم الإيمان مرتبطة بالصبر يعقبها الفلاح كما في الآية السابقة.

5- ومن مقوماتها: الأخلاق الحسنة وهي هيئة كامنة في النفس تصدر عن المكلف سلوكا حسنا بخلاف الأخلاق السيئة، وهذه الأخلاق –التي التزمها أولاً محمدٌ –ﷺ– قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾القلم:4، وسئلت السيدة عائشة عن خلقه فقالت: (كان خلقه القرآن)((11)) أي وفق المنهج القرآني، وأخبرنا –ﷺ– عن بعثته، فقال: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".((12))

والمنظومة الأخلاقية في الإسلام غنية عن التعريف، وكذلك ما يقابلها وقد بينها الإسلام لأجل الالتزام بها وترك سواها.

6- التوكل على الله وذلك بالأخذ بالأسباب وعدم التواكل قال تعالى:﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ المائدة:11.

7- العقل الواعي: إن الشخصية الإسلامية شخصية واعية فطنة متلقية عن الله أسرار التكليف في الخطاب القرآني وذلك بإعمال العقل في القرآن قراءة وتدبراً، وفي الكون سياحة وتفكراً، وفي النفس تأملاً وتبصراً وفي التاريخ اتعاظاً واعتباراً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ

وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾النور:51، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران:190، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾النور:34.

8- اللغة العربية: اعتبرها بعضهم من مقومات الشخصية الإسلامية؛ لأنها من لوازم الدين، قال ابن تيمية: (اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا [يفهمان] إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).[13]

9- ومن لوازم العقل الواعي العلم، فإن الإسلام يجعل العلم من وسائل الإيمان، فمعرفة الله بالعلم ترسخ الإيمان وتيسر الطاعة قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾سورة محمد:19، ولأهمية العلم كمكوّن للشخصية الإسلامية كان أول بشائر الوحي يأمر به ويقرُّ به قال تعالى من سورة العلق: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ الآيات1-5 ، وكان من النعم التي امتن بها على أبي البشرية، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾البقرة:31.

9- ومن مقوماتها: القوة، وتتمثل القوة في كل أسس هذه الشخصية، القوة في الإيمان، والقوة في الحق لردع الباطل والقوة في العدل لنصرة المظلوم، والقوة في الطاعة، والقوة في البناء، والقوة في الشدائد والابتلاءات، والقوة في الجهاد لرد طغيان الكفر، القوة في النفس لردع الشيطان.

إن المتأمل في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ ﴾ الأنفال:60، يجد أن معنى (قوة) عام في كل ما يتقوى به على مواجهة العدو وردعه.

فالمسلم مطالب بأن يكون قوياً في كل الأسباب التي يأخذ بها، القوة في الجهاد، والقوة في العلم، والقوة في البناء والتعمير القوة في النفس وعدم الخنوع والاستسلام، والقوة في التبليغ بالإسلام باتباع المنهج القويم قولاً وعملاً.

ثانياً: الهوية الثقافية مفهومها وعناصرها:

- الهوية في اللغة: تصغير هوة، والهوة: الحفرة البعيدة القعر، وقيل: كل وهدة عميقة أو ما انهبط من الأرض.[14]

والهوية اسم منسوب إلى هو، وهوية الإنسان حقيقته التي تميزه عن غيره، وهي إحساس الفرد بنفسه وحفاظه على تكامله وقيمته، وسلوكياته وأفكاره في مختلف المواقف.[15]

وفي اصطلاح العلماء هي: الأمر المتعقل من حيث امتيازه عن الأغيار والامتياز هذا بمعنى الخصوصية والاختلاف لا يعني التفاضل وعلى هذا فانتفاء خصوصية الشيء هو انتفاء لوجوده ونفيه).[16]

(إن هوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد ولا تتغير، تتجلى وتفصح عنها الذات دون أن تخلي مكانها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة).[17]

إن المجتمع المسلم يعاني اليوم من أزمة الهوية وإن كان التعميم ينتفي في هذا السياق، فإن الأغلبية لا سيما الفئات الشبابية– خاصة تلك التي أتيح لها وسائل الانفتاح المعرفي التي تمثل أكبر تحدي للهوية الثقافية، وتتمثل الأزمة في (الاضطراب الذي يصيب الفرد فيما يختص بأدواره في الحياة، ويصيبه الشك في قدرته، أو رغبته في الحياة طبقاً لتوقعات الآخرون عنه، كما يصبح غير متيقن من مستقبل شخصيته إذا لم يتيسر له تحقيق ما يتوقعه الآخرين منه فيصبح في أزمة).[18]

إن الخروج من هذه الأزمة يتمثل في الشخصية الإسلامية قوية الإيمان، سليمة القلب، زاكية النفس، مستسلمة لأوامر الله وأقداره، منضبطة السلوك، سريعة الأوبة، مسترشدة بالهدي القرآني، (فقد رسم القرآن مفهوم الهوية عند المسلمين، فجعل العقيدة هي معيار الولاء والبراءة، والحب والبغض، وهي المنظار الذي يرى المؤمن من خلاله القيم والأفكار والمبادئ ويحكم على الأشخاص وينزلهم منازلهم قال تعالى:﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[19] الحجرات:13، والثقافية: صفة للهوية، والثقافة في اللغة: الحذق وسرعة التعلم والفطنة وثبات المعرفة.[20]

(وهي كل مركب يتضمن المعرفة والأخلاق والفن، والعقائد والقانون والعادات والتقاليد وغيرها من القدرات المكتسبة لدى الإنسان [كعضو] من أعضاء المجتمع[21] أو هي نظام من القيم والتصورات [والمعتقدات] التي يتميز بها مجتمع ما تبعاً لخصوصيته التاريخية والحضارية.[22]

والثقافة في النسق الفكري الإسلامي: هي كل ما يسهم في عمران النفس وتهذيبها... أو هي تهذيب النفس الإنسانية بالأفكار والعقائد والقيم والآداب والفنون).[23]

تتلاحم عناصر الثقافة لتشكل الكيان المعنوي للمجتمع وترسم ملامحه وتميزه عن غيره، وتقيه من الانصهار والتلاشي إذا ما تسمك بها، (إن جوهر الثقافة هو الدين والمعتقد واللغة والتاريخ والعادات، وإذا ما تأثرت هذه المقومات فقدت الهوية مع الزمن ومُحيت الثقافة الأصلية).[24]

وبالتأمل في مفهوم الثقافة المطروح نلاحظ ذكر العقائد والأخلاق من عناصرها، أو ما يسمى بالجانب الروحي وإنا قد نسلم بأن الدين هو أحد عناصر ثقافة أي مجتمع بنظرة عامة سواء أكان هذا الدين سماوي أو وضعي.

لكن إذا ما نظرنا إلى الإسلام –خاصة– فإنه لا يجوز حشره كعنصر من عناصرها، بل هو ركيزة أساسية، حاكم عليها، محكم في مكوناتها.

فمن الخطأ جعل الإسلام –دين الله– من التراث؛ (لأن الإسلام المتمثل في مُحْكَمَات القرآن والسنة فوق التراث، بل هو الحَكَمُ على التراث بالقبول أو الرد، فهو المعيار الذي لا يخطئ، والهدي الذي

لا يضل...، ومع هذا المعيار النقلي معيار آخر عقلي ترد إليه الأمور بجوار الوحي، وهو الميزان المذكور في قوله تعالى:﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ۗ﴾الشورى:17.

أي أنه لا تناقض بين صحيح المنقول، وصريح المنقول.[25]

والهوية الثقافية لمجتمعنا ينبغي أن لا تخرج عن الهوية الإسلامية فهي محكومة لا حاكمة، تسيرها ضوابط الشريعة وتقيمها، فما وافق الشرع قُبل، وما خالفه رُفض، وهذا المعنى هو جوهر الهوية الإسلامية وغايتها.[26]

فالهوية الإسلامية يقصد بها الإيمان بعقيدة هذه الأمة والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية، والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ.[27]

إن هويتنا الثقافية على تنوع عناصرها تبقى هوية إسلامية تلك هي حقيقتها وجوهرها، والشخصية التي تقر بهذه الثوابت هي التي تحافظ على الهوية الثقافية ليس في مجتمعنا فقط بل في سائر مجتمعات الأمة الإسلامية ذلك [لأن] الإسلام منذ أن تدينت به أغلبية هذه الأمة قد أصبح هو الهوية الممثلة لأصالة ثقافة هذه الأمة فهو الذي طبع ثقافتها بطابعه، فعاداتها وتقاليدها وأعرافها وآدابها وفنونها وسائر علومها ونظرتها للكون والحياة، ومعايير المقبول والمرفوض في الحياة قد انطبع بطابع الإسلام، فثقافتنا إسلامية الهوية وأن معيار الدخول والخروج في ميدانها هو المعيار الإسلامي.[28]

ثالثاً: دور الشخصية الإسلامية في حل أزمة الهوية الثقافية والحفاظ عليها.

تتمثل المشكلة في الانخداع الذي أثمر التبعية، وذلك أن صلاحية الفكرة، وعدم صلاحيتها هو مدى ما حققته لأصحابها من إنجاز ونهضة وتقدم، أما المقاييس المثالية والتجريدية المعتمدة على الاستدلال بالماضي والوعود بمستقبل غامض فهذه أمور فاقدة لعناصر التأثير.[29]

فإن النتائج المادية الملموسة هي الحكم؛ ذلك لأن (الرواج الأيديولوجي هو لمن يملك رصيداً ملموساً يؤيد دعوته، وهذا بالضبط ما ساعد أعداء الإسلام على اقتحام عقول شبابه ومجتمعاته).[30]

وقد أشهر السلاح لمحاربه الإسلام بكل الوسائل تطبيقاً لمنهج العلمانية: (التي نادى بها الغرب ليواجه كهنوت الكنيسة الغربية التي وقفت مع الجمود ضد الفكر، ومع الجهل ضد العلم، ومع الملوك ضد الشعوب، ومع الأغنياء والإقطاعيين ضد الفقراء والكادحين).[31]

فهل في الإسلام ما يسمى برجال الدين والكهنوت واستبدادهم وتحيزهم ضد أصحاب الحق؟ الإجابة: لا.

(فالعلمانية في الغرب لها ما يبررها من فكرها الفلسفي منذ عهد أرسطو الذي يرى أن الله لا علاقة له بالعالم، لا يعلم فيه شيئاً، ولا يدبر فيه أمراً، ومن فكرها الديني: قسمة الحياة بين الله وقيصر، وترك ما لقيصر لقيصر، وما لله لله).[32]

فعلى المسلمين التفطن إلى ذلك؛ لأن العلمانية لا مبرر لها في الأمة الإسلامية؛ لأن الإسلام دين العلم والعقل والعدل والبناء وإعطاء كل ذي حق حقه، فقد أقرُّ الرسول –ﷺ– سليمان –رضي الله عنه– على قوله: (إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعطِ كل ذي حق حقه).[33]

(أما العلمانية عندنا فهي ضد الدين وضد فكرة الأمة وضد مصلحتها، وهي تجرد الأمة من طاقات هائلة كان يمكن أن تفجرها العقيدة والشريعة لو كانت العقيدة هي الموجهة والشريعة هي الحاكمة).[34]

(... فلا معنى لضرورة أن يكون مجتمعنا مرئياً من منظور العلمانية المفرقة بين الدين والنظام الاجتماعي؛ لأننا عند ذلك سنهوي في هوة سحيقة وتتسع الفجوة القيمية في السلوك لا يسدها إلا الدين، فالإسلام استناداً إلى كتابه القرآن والسنة الشارحة له يساهم في تشكيل المجتمع حضارياً وفق التوازن المعتدل بين المادة والروح).[35]

فالشخصية الإسلامية الحقة التي تستشعر ذلك تقر بمطلق العبودية لله تعالى لأنها تدرك علة وجودها في الحياة انطلاقاً من كلام الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

فمبدأ العبودية لله تدور حوله بحوث القرآن كلها وهو الغرض الرئيسي من إرسال الرسل (وهو دعوة الناس كلهم إلى أن يكونوا عبيداً لله عز وجل بالفكر والاختيار كما خلقهم عبيداً له بالجبر والاضطرار).[36] وفي هذه العبودية عزُّ المؤمن الذي لا يذل لغير الله، ولا يخضع لسواه، قال تعالى:﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾المنافقون:8، قال عمر بن الخطاب: (إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله أذلنا الله).[37] فالطاعة التي تجب لله تلزم معصية غير الله، قال –صلى الله عليه وسلم– "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق".[38]

أما اليقين بما أخبر به الله من أمور الدنيا والدين وما أعلمنا به من تفاصيل يوم القيامة الذي يدفع المؤمن إلى الخوف من الحساب فلا يخضع لهوى نفس ولا لوسوسة شيطان ولا تدبير عدو ولا لأفكار دخيلة تهزه، ولا لشعارات براقة تخدعه.

أما الإقرار بالنعمة للمنعم جل وعلا، ففي ذلك تقديم الشكر لله والولاء والطاعة في الحق لأنه هو المنعم الأول المتفضل على عبيده، فيتحرر المسلم من ربقة التبعية لغير الله.

إن تسمك المسلم بالمقومات الإسلامية يحقق الثبات أمام التيارات الفكرية المتضاربة، والتحديات المعاصرة والتي تعد من الابتلاءات التي تعرض لها أجيال الأمة من حين لآخر لأجل التمحيص، قال تعالى:﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ الملك:2، (...[إن] ارتقاء الشعوب في مصالحها القومية والوطنية، وفي عزتها الدولية، وهو أثر طبيعي لإحسان أعمالها في أسباب المعاش والثروة والقوة الحربية، والتكامل

والتعاون على المصالح والمقومات العامة لها، ولا يتم [ذلك] إلا بالصدق والعدل والأمانة والاستقامة، ولا تكمل هذه إلا بالإيمان بالله واليوم الآخر.

إن نعم الله تعالى على الأقوام والأمم منوطة ابتداءً ودوماً بأخلاق، وصفات، وعقائد، وعوائد، وأعمال تقتضيها، فمادامت هذه الشؤون لاصقة بأنفسهم، متمكنة منها، كانت تلك النعم ثابته بثباتها... فإذا هم غيروا ما بأنفسهم من تلك العقائد والأخلاق، وما يترتب عليها من محاسن الأعمال، غيرَّ الله ما بأنفسهم، وسلب نعمته منهم، هذا هو الأصل المطرد في الأقوام والأمم).[39]

(ولا شك أن الإيمان المنوه به في القرآن ليس جامداً في بيان الإنسان، بل هو الإيمان الفاعل في الحياة الفردية والاجتماعية والمفعل بالعمل).[40] ومن المهام المنوطة بالشخصية الإسلامية الحفاظ على مآثر الماضي وهو تاريخ الأمة –تلك الصفحات الناصعة في حياتها– يتوقف المسلم في محطاته المتميزة حيث مواضع العبرة بالاستقراء والتحليل ليقتبس منه ما ينير حاضره ويرسم دروب مستقبله.

إن هذا التاريخ هو صنيعة أمة جعلت الإسلام منهجاً ودليلاً.

إن الدين الذي خلق عظمة العرب الماضية وعظمة غير العرب من الذين اعتنقوه في مراحل التاريخ لقادر على أن يعيد للمسلمين عظمتهم التي فقدوها من جراء تهاونهم الطويل، ثم إن الإسلام أقدر الأديان كلها على خلق القومية الصحيحة في الأمم، والمسلمون اليوم في حاجة إلى الطمأنينة من القلب، ولا يتم ذلك إلا بالرجوع إلى شيء من الاعتبار الروحي في الحياة بعد أن طغت الشهوة المادية الجامحة على كل كبيرة وصغيرة في حياتنا اليومية.[41]

ومن أراد الدروس والعبر يبدأ بأول القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

قال الأمام مالك: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها).[42]

(إن أول هذه الأمة صلحوا بالتوحيد والقيام بأمر الله، وأداء حقه، والجهاد في سبيله، والإيمان بالله ورسوله، فهذا الذي صلح به أول هذه الأمة، وآخر هذه الأمة لا يصلحها إلا هذا، إذا استقاموا على أمر الله، ووحدوه، وأخلصوا العبادة... فإن لم يفعلوا فلن يصلح حالهم).[43]

ومما تقدم تبرز النتائج الآتية التي تتلوها توجيهات ذات علاقة بالموضوع:

1- إن الإيمان هو الركيزة الأساسية في تكوين الشخصية الإسلامية، وإن له مقومات ملازمة له لا تنفك عنه.

2- إن الشخصية الإسلامية التزام وصدق وإخلاص ظاهرا وباطنا لا يرتبط بلحظة آنية، إنما امتداد يرتبط فيه الحاضر بالماضي والمستقبل بالحاضر فهي مقومات متجسدة في كل مراحل العمر.

3- إنه من الخطأ اعتبار الدين الإسلامي عقيدة وشريعة من التراث، أو أحد عناصر الثقافة؛ لأن الثقافة اكتساب معرفي تراثي بشري متغير والإسلام دين إلهي ثابت، والصواب أنه معيار نحكمه في مكونات الثقافة ليكون منها المقبول والمردود.

4- إن مقومات الشخصية الإسلامية هي الدرع المتين الذي يصد سهام الأعداء الذين يسعون لطمس الهوية الثقافية، والعمل على اندثارها.

التوصيات:

1- ضرورة التمسك بمقومات الشخصية الإسلامية التي أسستها الشريعة عقيدة وعملا وأخلاقا لإثبات وجودنا وعدم الذوبان والاندثار.

2- نشر الوعي بالتحديات المعاصرة وعدم الانبهار بالمظاهر؛ لإفشال مخططات الأعداء.

3- العمل على الحفاظ على مكوناتنا الثقافية وخصوصيتها الأصيلة في أمتنا الإسلامية العربية.

هوامش البحث:

1. لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، دار صادر- بيروت- ط،3، 1414هـ، ص6412، قوم.
2. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، مكتبة فياض المنصور –ط:1، 1430هـ، 2009م، ص530.
3. م س، ص528-529.
4. مقومات الشخصية المسلمة، عبد الله بن محسن الحضرمي، ص6، موقع، كنانة أون لابن تاريخ الاطلاع 10-4-2022.
5. لسان العرب، ابن منظور، ص3428، شخص.
6. معالم الشخصية الإسلامية المتوازنة المستنبطة من القرآن الكريم، عبد عطا الله حمايل، مجلة دراسات لجامعة الأغواط، ع:30، جوان 2014م، ص2.
7. لسان العرب، ابن منظور، ص6203-6206، سلم.
8. معالم الشخصية الإسلامية المتوازنة المستنبطة من القرآن الكريم، عبد عطا الله حمائل –مجلة دراسات لجامعة الأغواط: ص8.
9. الإسلام على مفترق الطرق محمد أسد، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين –بيروت- 1987م، ص11.
10. السنن –أبو داود- سليمان بن الأشعث، دار الفكر بيروت لبنان 1424هـ/ 2003م، 319/2.
11. صحيح مسلم بشرح النووي، دار التقوى- 2004م، ك: المساجد، ب: جامع صلاة الليل، 974/6.
12. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ت 405هـ، تح، مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت- ط:1-1411هـ- 1990م، م/620، ر:4221.
13. اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، تح: ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الفضيلة –الرياض- ط:1-1424هـ-2003م، ص316.
14. لسان العرب، ابن منظور، هوى.
15. تعريف وشرح الهوية، موقع المعاني alimony. com تاريخ الاطلاع: 12-4-2022م.
16. التعريفات، على بن محمد الشريف الجرجاني (ت 816هـ) تح: محمد عبد الرحمن مرعشلي، دار النفائس –بيروت- ط:3- 1433هـ/ 2012م، ص375،307.
17. مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، محمد عمارة، دار النهضة- القاهرة- ط:1- 1999م، ص6.

18.تعريف ومعنى الهوية في معجم المعاني الجامع موقع المعاني تاريخ الإطلاع: 29-3-2022، almaany. com
19.أسس وخصائص الهوية الدينية الإسلامية وأهم التحديات التي تواجهها، محمد لمين بوروبة، مجلة البحوث والدراسات، جامعة الوادي، الجزائر، م(16) ع(02)، صيف: 2019م، ص229.
20.لسان العرب، ابن منظور، ثقف.
21.مفهوم الثقافة وخصائصها، هائل الجازي، ونسبه إلى إدوارد تايلور، قال: إنه أقدم تعريف للثقافة، موقع موضوع.
22.الهوية الثقافية وتحديات العولمة، جمال نصار، موقع: مركز الجزيرة للدراسات، 10-4-2022.
23.مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، محمد عمارة، ص5.
24.عناصر الثقافة الإسلامية العربية، مبارك عامر تقنه، موقع طريق الإسلام، تاريخ الاطلاع، 29-3-2022.
25.الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة، يوسف القرضاوي، ص60.
26.ماهية الهوية وكيفية الحفاظ عليها، رمضان غتَّام، موقع طريق الإسلام.
27.ينظر: الهوية الإسلامية، خالد شرادقة، موقع موضوع تاريخ الاطلاع 5-4-2022.
28.ينظر: مخاطر العولمة على الهوية الثقافة، محمد عمارة، ص6-7.
29.ينظر: بين يدي العلاج، محمد الهراس، المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، 24 صفر 1397هـ، ص151.
30.م س، ص ن.
31.الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، يوسف القرضاوي، ص165.
32.م س، ص ن.
33.صحيح البخاري، مكتبة نزار مصطفي الباز، ط:1/1425هـ/ 2004م- مكة المكرمة، 425/2.
34.الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة، يوسف القرضاوي، ص165.
35.منطلقات قرآنية للحوار، سعيد سالم فاندي، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -ايسيسكو- 1432هـ/2011م، ص58.
36.روائع القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسه الرسالة، بيروت 1420هـ/1999م، ص163.
37.المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية- بيروت- ط2- 2002م، 130/1.
38.الجامع الصغير، في أحاديث البشير النذير، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية- بيروت- ط:2-2004م، ص585.
39.القرآن والدولة، محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة- 1973م، ص166.
40.منطلقات قرآنية للحوار، سعيد فاندي، ص105.
41.الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين- بيروت، 1987م، المقدمة، مصطفي الخالدي، ص6-7.
42.اقتضاء الصراط المستقيم، ابن يتمية، ص477.
43.شرح صحيح ابن خزيمة، عبد العزيز الراجعي، 22/9 المكتبة الشاملة almaktaba. org